

الموازنة بين عناصر ما قبل النص في قصتي: السَّنة والرحلة دراسة نقدية

أحمد أبوبكر

Ahmad Abubakar

محاضر بقسم العربية، بجامعة سعاد زنغر، ولاية بوتشي

ahmadabubakargadau@gmail.com

08022929777

آدم إبراهيم

Adamu Ibrahim

مدرس بكلية أم القرى، أزري، ولاية بوتشي.

adamuibrahim6755@gmail.com

08066536755

ملخص البحث:

يتناول البحث عتبات النص بوصفها مداخل تأويلية أساسية لفهم العمل الأدبي، وذلك من خلال الموازنة النقدية بين عناصر ما قبل النص في قصتي "السَّنة" و"الرحلة". وتكمن أهمية الموضوع في كشف دور العنوان والغلاف والكاتب في توجيه توقع القارئ وإيهامه بمضامين النص. ويهدف البحث إلى تحليل العلاقة بين هذه العتبات ومحتوى القصتين، وقياس مدى نجاح كل كاتب في توظيفها دلاليًا وإغرائيًا. اعتمد البحث المنهج السيميائي والمنهج الوصفي التحليلي المقارن. أظهرت النتائج تفوق عنوان "الرحلة" في الدلالة الحرفية المباشرة على المضمون، بينما اتسم عنوان "السَّنة" بالغموض الإيحائي والدقة الصوتية التي تعكس معاني العنت والمشقة. وتبين أن القصتين تستندان إلى سيرة كاتبيهما الذاتية. **الكلمات المفتاحية:** الموازنة النقدية؛ عتبات النص؛ العنوان؛ سيميائية الغلاف؛ السيرة الذاتية؛ السَّنة؛ الرحلة؛ الأدب النيجيري العربي.

المقدمة:

تُعدُّ عتبات النص من المفاهيم النقدية الحديثة التي أسهمت في إثراء الدرس الأدبي، وتفتح أمام القارئ والناقد آفاقًا واسعة لتأويل النص وفهم مضمراته قبل ولوجه إلى متنه. وتأتي أهمية هذا الموضوع من كونه يسلط الضوء على عناصر ما قبل النص -كالعنوان وصورة الغلاف والكاتب- بوصفها مفاتيح دلالية تحمل في طياتها إشارات مكثفة لمضمون العمل الأدبي وأسلوبه ورؤيته.

وتهدف هذه الدراسة إلى الموازنة النقدية بين عناصر ما قبل النص في قصتي "السَّنة" و"الرحلة"، من خلال تأويل دلالات العنوانين دراسة صوتية ودلالية وتصويرية، وتحليل سيميائية صورة الغلاف وما تحمله من علامات وألوان، والتعريف بكاتبتي القصتين وأبرز معالم مسيرتهما العلمية والإبداعية.

المبحث الأول: تأويل العنوان

دلالة العنوان: من عناصر الرواية التي تدرس قبل نصها: العنوان والغلاف والكاتبⁱⁱ. ينبغي للكاتب أن يتحرى اختيار عنوان روايته كي يدل على مضمونها وحدثها. يقصد به في الحقل اللغوي: ما يستدل به على غيره، وهو مصدر لفعل "عَوَّنَ يعنون عنونةً وعنوانًا. يقال: عَوَّنَ الكاتب الكتاب إذا كتب عنوانه،ⁱⁱⁱ فمجيء كلمة العنوان بضم العين لغة فصيحة، وقد يكسر فيقال: عنوان.^{iv}

أما العنوان في المعنى الاصطلاحي فهو: "الاسم الذي يميز الكتاب بين الكتب كما يميز الإنسان باسمه بين الناس".^v وهناك تعريف آخر له: "عَتَبَةُ النص وبدايته، وإشارته الأولى، وهو العلامة التي تطبع الكتاب أو النص وتسميه وتميزه عن غيره".^{vi}

يفهم من هذين التعريفين أن عنوان النص كالأشبه العليا للباب التي يُوطأ عليها، مع ذلك يُشَمَّ من العنوان رائحة النص، ويكون علامة له للتسمية والتمييز. فعلى هذا إن العنوان هو اسم علمي وصفي يفهم بمجرد شيء من المضمون وهيئة النص وجنسه. ولا يكون العنوان كاسم العلم كي يفهم منه التعيين والتمييز بين المسمى وغيره فقط، بل يكون مثل الصفة ليفهم من ظاهر العنوان ما في داخل النص أو الكتاب.

قد يكون العنوان للفصول داخل الكتاب كما يكون للكتاب، لكن عنوانه الفصل مطردة في الروايات وهي تكاد تغيب في المسرحيات وفي دواوين الشعر.^{vii} لتأويل العنوان نحو المضمون وكشف أغواره يمكن أن يُنظر إلى ثلاثة أشياء:

- **علمية العنوان:** يكون عنوان الكتاب كاسم العلم له، يميزه عن غيره من الكتب.
- **توصيف الاسم:** يكون الاسم هنا كصفة المسمى بعد أن كان علماً له يميزه عن غيره.
- **العلاقة بين العنوان ومضمون الكتاب:** ذلك يكون بعد أن كان العنوان علماً للكتاب وصفة له، كأن يسمى أحد: حامد لكثرة تكميده لله ثم للناس، بعد أن كان الاسم علماً له. في ذلك حدد بعض النقاد للعنوان أربع وظائف:

الأولى: وظيفة تعيينية تعطي الكتاب اسماً يميزه بين الكتب.^{viii} أصاب الكثير من الكتاب والروائيين في اختيار الاسم لتعيين كتبهم عن غيرها من الكتب، ولا يوجد في ذلك التباس إلا إذا عُثِرَ كاتب كتابه بعنوان سبقه أحد الكتاب، كما يُعَنون البلاغيون كتبهم بـ "علم البيان" أو "علم المعاني" أو "علم البديع"، حيث يشمل كل من الكتب دراسة نظرية لعلوم البلاغة، ففي ذلك ضرورة إضافة اسم المؤلف إلى عنوان الكتاب في التسمية للتمييز بين الكتاب وغيره، ولم يرى الباحثان في ذلك بأساً، لما أعطاه العنوان من وظيفته التي أدته هناك تعييناً للكتاب.

في هذا الصدد أدى عنوان قصة "السنة" و"الرحلة" وظيفته التعيينية، لما له من دور فعال في تعيينهما بالعنوان بين سائر الروايات – الروايات النيجيرية العربية - فأصبح العنوان اسماً علمياً يميزهما عن غيرهما من القصص.

الثانية: وظيفة تتعلق بمضمون الكتاب أو بنوعه أو بهما معاً أو ترتبط بالمضمون ارتباطاً غامضاً^{ix}. ليكون العنوان مناسباً للمضمون مشيراً إلى ما في القصة من الحدث؛ لذا ينبغي أن يراعي الكاتب ما يعنون به القصة ليدل على المضمون، كما نصت الدكتورة فطمية الزهرة لأهمية العنوان وإبراز وظيفته المتعلقة بالمضمون: "يعد العنوان مفتاحاً لولوج النص الأدبي وكشف أغواره ومجاهله ودلالاته العميقة، فهو نص مختصر يلخص كل الوقائع والأحداث والقضايا ويختزلها في كلمة أو في جملة قد تطول أو تقصر، وكلما كان العنوان مختصراً اتسعت دلالاته وقويت طاقته الإشعاعية وامتد فضاءه الإيحائي وانفتحت آفاقه الرمزية لاعتماده على التكثيف والمجاز والرمز والمطلق الدلالي".^x

لأهمية العنوان ووظيفته يستفيد القارئ بمجرد مروره بالعنوان، لما للعنوان من جذب انتباه المتلقي، فهو مفتاح النص وتلخيصه. ومهما يكن من أمر، فعلى الكاتب أن يحاول قدر وسعته ليقنع القارئ بقراءة العنوان كأنه اطلع شيئاً من الرواية.

اختار كاتب السنة عنواناً لقصته التي بين فيها ما كابده من المشقة في طلب العلم طوال سنة كاملة، لما لكلمة السنة من المعنى الدقيق في الحقل الدلالي، وقد أشار الكاتب بنفسه في مقدمة القصة قائلاً: ومن ثم أثرت "السنة" على العام لما بين الكلمتين من تباين وفرق دقيق في الحقل الدلالي الأدبي؛ لأن الأول غالباً ما يكون في العذاب أو العنت والنصب، والأخرى تستخدم للنعمة أو السخاء والرخاء.^{xi}

من الآيات التي تثبت الفرق الموجود بين السنة والعام، (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ).^{xii}

أما "الرحلة" فيفهم من عنوانها معنى: السير والمضي^{xiii} دلالة على حدثها الرئيسي، ومع سعة حقل كلمة الرحلة الدلالي تأتي بمعنى: البعير ذو رحلة وذو قوة على السير^{xiv} الذي تستعمله العرب في الرحلة الطويلة التي تقطع بعيد المدى، لجرنته في تحمل المشقة، كما وردت الكلمة في الكتاب الحكيم بهذا المعنى، (إِبْلَافُهُمْ رَحْلَةً الشَّيْءِ وَالصَّيْفِ)^{xv}؛ لعل السبب الذي جعل للبعير اسم الرحلة لجرنته في السفر وتحمله المشقة. فقصة الرحلة

تعكس للمتلقي بيان السفر من دولة نيجيريا إلى دولة النيجر في السيارة، وما يتكابه المسافر من خلال هذه الرحلة.

لو عنون كاتب الرحلة قصته بـ "السفر" بدلا من "الرحلة" لم يؤدّ العنوان المعنى الدقيق، كما يفهم من الرحلة مع أن في السفر نصبا^{xvi} كما ورد في القرآن، (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا)^{xvii}؛ لعل من الحكمة في اختيار كلمة "الرحلة" لما رأى الكاتب من شيوعها معنى واستعمالا حتى أصبحت بمعنى الكتاب الذي يصف فيه الرّحالة ما رأى في السفر^{xviii}. من هذا الصدد يدرك القارئ أن بعض الكتاب سبقوا كاتب الرحلة في استعمال هذا العنوان، وإن لم يكن الكتاب في فن الرواية.

الثالثة: وظيفة تضمينية أو ذات قيمة تضمينية تتصل بالوظيفة الوصفية وتتعلق بالطريقة أو الأسلوب الذي يعين العنوان به الكتاب.^{xix} يُراد مما سبق أن يوجد الكاتب العلاقة بين مضمون الرواية وبما يصفه عنوانها بعد التعيين، وترتبط الصفة المفهومة من العنوان بأسلوب النص؛ لذا لا بد للكاتب أن يربط العلاقة بين عنوان النص ومضمونه وأسلوبه في الوقت نفسه أو طريقته، ليقنع المتلقي كل جوانب النص لأن لا يغرق في التفكير عن تعيين جنسه بين الأعمال الأدبية: رواية أم مسرحية أم شعرا.^{xx} أو معرفة أسلوبه أدبيا كان أم علميا. على سبيل المثال إذا قرأ المتلقي عنوان الكتاب: "مدخل إلى علم اللغة" للدكتور ناصر الدين إبراهيم أحمد، لا يبقى الشك في ذهن المتلقي بتعيين اسم الكتاب وتوصيف مضمونه، ومعرفة أسلوبه. إذا كان الأمر كذلك، فلم لا يفهم ذلك التعيين في بعض الروايات، فمثلا عنون الهجري روايته: "خادم الوطن" التي تمحورت حول خدمة الوطن، وخادم الوطن اسم البطل، وإن فهم من العنوان التعيين والتوصيف لم يفهم شيء من أسلوب الكاتب أو جنسه شعرا كان أو مسرحية أو رواية.

يُدرّك من عنوان "السنة" و"الرحلة" العلمية وتوصيف المضمون من "الرحلة" والقحط والزمن من "السنة"، ولم يطالع المتلقي شيئا من أسلوب الكتاب أو جنس نصه من "الرحلة"؛ لعلّ السبب هو الذي جعل بعض النقاد أن يقترح للكتاب في اختيار العنوان أن يراعي ثلاثة مصطلحات: العنوان نفسه، والعنوان الفرعي وبيان النوع، وضرب في ذلك مثلا -ليكون الأمر واضحا- لعنوان كتاب محمد حسين هيكال: "زينب مناظر وأخلاق ريفية" فالعنوان الخاص هو "زينب" والعنوان الفرعي هو "مناظر وأخلاق ريفية" لتوضيح هذا الخاص، أما بيان النوع وهو يعين النوع الأدبي الذي ينتمي إليه الكتاب رواية أو غيرها.^{xxi} حاول كاتب "السنة" الإتيان بعنوان فرعي لبيان النوع تحت العنوان الرئيسي لتكون القصة مفهومة الجوانب، مثلا: "السنة" قصة عربية فنية" كي يفهم جنس الكتاب وأسلوبه، على أنه جنس أدبي نثري، وليست القصة القصيرة ولا الأقصوصة أو الحكاية.^{xxii}

لو يعرف القارئ بمجرد قراءة قصة "السنة" أو "الرحلة" على أنهما رواية ذاتية لزال مثار الشك في ذهنه لمعرفته بحقيقة جنسهما وخصائصهما عن غيرهما، إلا أن كاتب السنة أشار في مقدمة الرواية إلى أنها قصة ذاتية وليست من نسج الخيال الخالص. فعلى هذا لو عرف الناقد أو الأديب قبل ولوجه النص الأدبي حقيقة جنسه، لوجد الآلة التي بها يكشف أغوار النص وتفتيش جوانبه الفني لمعرفته بجنسه.

للتداخل بين الخصائص والمميزات التي يختص بها كل نص أدبي عن غيره شعرا كان أو نثرا، أثارت قضية التجنيس في الأدب العربي في العصر الحديث؛ والسبب في نشوئها تداخل النصوص الأدبية بعضها البعض، فينظم شاعر قصيدة ولم يلتزم الوزن والقافية، أو يكتب كاتب قصة ويجعل فيها بعض الأبيات، أو عدم تمييزه بين القصة والرواية أو المقالة أو الأقصوصة والحكاية، كلها جنس أدبي نثري، لكل واحد منها خصائص ومميزات يختص به عن غيره.^{xxiii}

يرى البعض أن للمبدع حرية في إبداعه، وليست الطريقة المتبعة أول الأمر، بل كانت الطريقة مصطلح الناس الذي بدا أخيرا اتجاهاً ومنهجاً يسير الأدباء نحوه في التزام خصائص الأجناس الأدبية.^{xxiv} إن لم يكن المبدع عارفاً بخصوصية ما يكتبه من النص، فإنه ليس موفقاً في النتيجة، فيسمى القصة بالرواية أو الحكاية وما أشبه

ذلك، بمثل هذا يفشل النقاد لعدم معرفتهم بخصوصية كل جنس من الأجناس الأدبية، والقارئ لا يتذوق ما يقرئه.^{xxv}

ومن الصحيح أن يكون التداخل بين الأجناس الأدبية بعضها البعض، كالشعر والمقال والخطابة والحكاية والمسرحية ضمن الحدود المعينة دون أن يطغى أحدها على الآخر، أو يفقد خصائص النص الذاتي وطابعه العام، ويضيع معه الفهم الصحيح.^{xxvi}

الرابعة: وظيفة إغرائية تتصل بالوظيفة التضمينية وتسعى إلى إغراء القارئ باقتناء الكتاب أو بقرائنه.^{xxvii} بمجرد قراءة المتلقي عنوان قصة: "السنة" يرغب في أن يبيل غلته بمعرفة حقيقة ما يكون في هذه "السنة" التي ألقت القصة من أجلها، ويخطر بباله أي سنة يريد الكاتب تشخيصها للمتلقي؟ هل حدث فيها الجذب؟ وما الشيء الخطير الذي سجله الكاتب فيها؟

أما عنوان "الرحلة" فبمجرد قرائنه يريد المتلقي اكتشاف مضامينها، ويسأل نفسه: أي سفر سجله الكاتب في هذه القصة؟ أهو السفر إلى مكة ماشياً أو راكباً؟ وبالقراءة يزيل عن ذهن القارئ الشك، فيقتنع بما يقرأه من نوع هذه الرحلة والمشقة التي عاناها صاحب الرحلة.

دراسة عتبة العنوان: يرى بعض النقاد أن دراسة العنوان لكشف العلاقة بينه وبين ما تحتويه القصة، تحتاج إلى إبراز ثلاث قيم: قيمة صوتية وقيمة دلالية وقيمة تصويرية للعنوان.^{xxviii}

أولاً: القيمة الصوتية: للحروف قيم صوتية تؤدي دوراً فعالاً في أداء المعنى الدقيق الذي لا يميزه كثير من الدارسين؛ لعل من هذا السبب أثار قضية الترادف، وذهب اللغويون في ذلك إلى مذاهب مختلفة.^{xxix}

إن معرفة ميزة الكلمة صوتياً حال النطق بها من خشونتها أو خففتها يؤدي دوراً فعالاً في معرفة معناها الدقيق؛ لذا يقوم الباحثان بمحاولة دراسة العنوانين صوتياً ليبرز ما للكلمة من الهمس أو الجهر لمعرفة الفروق المحددة بين الكلمتين من معنى، بداية من عنوان "السنة" المكوّن من السين فالنون فالهاء المحذوف؛ لأن أصلها سنّه كجبهة خُذفت لامها بعد نقل فتحها إلى العين،^{xxx} وتدل التاء على التأنيث في عنواني "السنة" و"الرحلة"، وهكذا "ال" الدال على التعريف لا حاجة إلى كشف تأصيلهما لاتفاقهما في الغرض.

الأصوات المهموسة هي: ه ح خ ك ش س ت ص ث ف.^{xxxi} من هذه الدائرة صوت السين والهاء المحذوف من "السنة" من أصوات الهمس، وهكذا صوت الحاء من "الرحلة". أما الأصوات المجهورة فهي: كل الأصوات سوى ما سبق عرضه من المهموس،^{xxxii} أي: أ ب ج د ذ ر ز ض ط ظ ع غ ق ل م ن و ي، من هذه الأصوات: النون من "السنة" والراء واللام من "الرحلة".

من هذه الجولة اليسيرة يفهم أن في "السنة" صوتين مهموسين وهما السين والهاء نظراً إلى أصل كلمة السنة وصوت واحد مجهور وهو النون. وفي "الرحلة" صوتان مجهوران وهما: الراء واللام، والصوت الواحد المهموس هو: الحاء؛ لذا يدرك المتلقي أن كلمة "السنة" أخف على اللسان لاجتماع الصوتين المجهورين من "الرحلة"، لكن جاء عنوان "السنة" بتركيب غريب كونه محذوف اللام (لام الكلمة) وهو: صوت الهاء الذي لم يُعوضه بأي حرف. لغرابية هذا التركيب منزلة في إبراز الشدة والعنف لخروج الكلمة عن العادة المألوفة، وتشابهها بالحرف في العدد مع أنها اسم؛ لعل هذا السبب أدى إلى الفروق الموجودة بين معنى "السنة" وما يقاربها دلالياً بـ "العام"، وإن كانت العين والميم في: "العام" مجهورتين، لكن توسط بينهما ألف المد الذي جعل الكلمة أخف على اللسان من "السنة"؛ لذلك كانت "السنة" أدل على العنت من كلمة العام التي تميل دلالتها إلى النعمة والسخاء، كما وردت كلمة "السنة" و"العام" بهذا الاستعمال في الكتاب الحكيم، (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)^{xxxiii} فاستثنى الله سبحانه وتعالى خمسين عاماً من ألف سنة يعاني سيدنا نوح من قومه، لما بين الكلمتين من تباين دلالي.

وكذلك يجد المتلقي فرقاً دقيقاً معنوياً بين "الرحلة" و"السفر" من الناحية الصوتية أيضاً؛ لاتفاقهما في صوت الراء المجهور، وانفردت كلمة "الرحلة" باللام المجهور وبالحاء المحموس، كما اختصت كلمة "السفر" بالفاء والسين المهموسين؛ لذا يُدرك أن كلمة الرحلة أشدّ عنفاً لكثرة أصواتها المجهورة، وهي أدل على العنت من

كلمة "السفر"، فيُستعملها للسفر الطويل الذي يحتاج إليه الراحل إلى طعام وشراب وبعض متاع وأثاث خلال الرحلة؛ لعل من هذا السبب اشتهرت كلمة السفر بدلا من الرحلة استعمالا في الزمن الحاضر، لما لها من قلة الدلالة على العنت للسفر بالسيارة بدلا من سفينة الصحراء في ذلك الزمن، وفي حين يُسمَل كلمة الرحلة في المطارات بدلا من السفر مع أن السفر بالطائرة أخف وأسهل من السيارة لخطورة السفر به. من الجولة البسيطة يدرك المتلقي الفروق الموجودة بين أصوات "السنة" و"الرحلة" وما أدته تلك الأصوات من معنى في نفسها وما يقاربهما معنويا من كلمة العام والسفر.

ثانيا: القيمة الدلالية: بمجرد قراءة المتلقي عنوان "السنة" يفهم منها أولا: زمناً، ثانيا: الجذب والقسط المفهوم من غرابية تركيب الكلمة لحذف حرف واحد من حروفها الأصلية، إشارة إلى ما يعاني شخصيات القصة من العنت. أما "الرحلة" فيفهم منها: الانتقال المصحوب بالنصب المفهوم من أصوات حروف الكلمة المجهورة، دلالة على ما يدور في مضمون القصة من نصب يحتك به يحيى (البطل) على الطريق في القصة.

ثالثا: القيمة التصويرية: يصور عنوان الرحلة تصويراً مبيناً لمضمونها؛ لما تحمله الكلمة من معنى السفر فهو محور القصة، تسجيلاً لما رأى المسافر ما على الطريق ويشعر به. أما عنوان "السنة" فيصور -من الحقل اللغوي- الزمن الذي فيه الجذب أو التعب، ولا يفهم المتلقي -بمجرد قراءة العنوان- شيئاً من المضمون؛ فكأن تصويرها تصوير غامض نظراً إلى مضمونها بخلاف "الرحلة"، ولعل يخطر ببالي القارئ فيسأل نفسه: هل القصة تصور السنة الجذب التي قل فيها المطر أم غيرها.

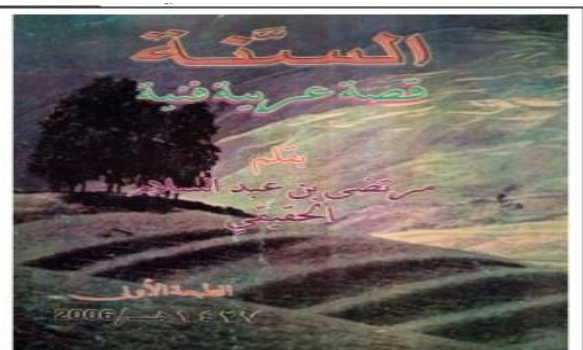
المبحث الثاني: تأويل صورة الغلاف

سيمائية الغلاف: اختلف النقاد في تأصيل علم السيمياء منذ بدايته، وذهبوا إلى مذهبين، الأول: لساني النشأة، والآخر فلسفي.^{xxxiv} وهكذا اختلف السيميائيون في تحديد المصطلح (الاسم) المعين لهذا العلم، فهناك مصطلحان متداولان في الفرنسية هما: "سيميوْلوجيا" و"سيمَنْتِك"، فمن السيميائيين من يستخدم أحدهما دون الآخر، ومنهم من يستخدم المصطلحين بمعنى واحد، ومنهم من يستخدم المصطلحين بمعنىين مختلفين، فيجعل الأول فرعاً من الثاني، أو الثاني فرعاً من الأول.^{xxxv}

عرف "بيارغرو" السيمياء بأنها: "العلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلامات: اللغات، والأنظمة والإشارات والتعليمات".^{xxxvi} وعرفها "فيردناند" بأنها: "العلم الذي يدرس حياة العلامات من داخل الحياة الاجتماعية".^{xxxvii} يضاهي هذا التعريف ما قاله سوسور بأن السيمياء: "علم يدرس حياة العلامات في الحياة الاجتماعية".^{xxxviii} وبعبارة أخرى عند "مارتينيه" بأنها علم "دراسة جميع السلوكيات والأنظمة التواصلية".^{xxxix}

يفهم من التعريفات: أن السيمياء علم يهتم بدراسة أنظمة تواصلية من العلامة وجميع السلوكيات ومدلولها داخل الحياة الاجتماعية. من هذا الصدد يمكن القول بأن السيمياء علم لدراسة جميع العلامات الإرادية في كل اللغات؛ لأن القول بالإرادية تخرج عن ذلك العلامة التي لأحياء لها أصلا لعدم العلاقة بينها وما تدل عليه من التواصل أو التعليم، أو كون العلامة عفو الإرادة ولم يُقصد بها شيء.

الغلاف الأمامي لرواية "الرحلة" للعسلي و"السنة" للحقيقي:



وردت العلامات التي تحمل المعاني الدقيقة على صورة غلاف السنة، من هذه العلامات الواردة في صورة الغلاف أحفاف مركبة بعضها البعض، جنبها الأيمن أعلا من الأيسر الذي فيه تُلَعَة مرتبة كترتيب القبور بالمقبرة، أو مثل غَلَات بطاطا ببستان، لكن المكان خالٍ عن النبات. وعلى طرف الجنب الأيسر بضع شجر متجمعة بمكان واحد، فانخفض وسط الجانبين كمكان يسيل فيه الماء؛ لعل هذه دلالة على المكان الجاف الذي يدور فيه حدث القصة.

بالنظر إلى صورة غلاف "الرحلة" وما تحمله من العلامات الإشارية المدركة، كأحفاف مركبة وأباعر متتالية يبلغ عددها سبعة، تلي الإبل شوط البعير، بعضها محمّل على ظهره راكب، أو أمتعة كثيرة، وليس على ظهر البعض شيء من الركاب أو أمتعة لكنه في الركب، يساق بعض الركب بعضاً من الإبل ماشياً؛ هذه دلالة على طبيعة الرحلة بعيدة المدى التي تقطع أشهراً على الطريق صحراوي المكان، له التلّ المركب بعضه مرتفع ومنخفض.

يمكن إدراك ما تشير إليه صورة غلاف "الرحلة" من الدلالة الحرفية^{xl}، حتى لو لم يتصفح المتلقي الكتاب فإنه يعلم أنه شامل البيان عن الرحلة التي يلقي فيها الراحل نصباً بمكان صحراوي؛ لذا لم يشخص الكاتب الصورة بالعلامات التي تفيد السفر في الزمن الحاضر، كإطائرة التي لا يلقي فيها المسافرين نصباً، أو السفينة أو السيارة وغيرها من الأشياء المساعدة حال السفر. هذه العلامات كتخليص لقصة الرحلة وتوضيح لمضمونها، وإشارة إلى محاورها وأحداثها.

دلالة الألوان: تؤدي الألوان دوراً أساسياً في التواصل بين الأفراد. ويبدو أن دلالتها لاصقة بالثقافة والحضارة. ^{xli} والألوان الموظفة في صورة غلاف "السنة" و"الرحلة" وما يلصق بهما من الثقافة والحضارة التي من أجلها اختار كاتب السنة لوناً مزدوجاً بين الأزرق والأسود، واختار كاتب الرحلة لوناً أزرقاً وأسماً.

يحيط بغلاف السنة لون مزدوج بين اللونين: الأزرق الذي يحيل إلى الماء والبحر والسماء الصافية، ومن دلالاته الهدوء والراحة ^{xlii} التي برويتها يسر الناظر لما أحاط به من النعم والجمال؛ دلالة على تحقيق طموحات عبد الله (بطل القصة أخيراً) التي من أجلها يتحمل المشقة والتعب.

أما اللون الأسود فهو رمز الحزن والألم والموت والخوف من المجهول ^{xliii}؛ ويدل على وقع وحزن في نفس عبد الله بما يعانيه ويصارع عن تحقيق رغبته في التحصيل العلمي. أما عنوان "السنة" الرئيسي فكتب بلون أحمر كدم وهو رمز الهجوم والغزو، ^{xliv} تعبيراً عن المصيبة أو القمّة في المشقة؛ لبيان حدث القصة وما يصارع البطل من كثرة النصب. ولون العنوان الفرعي الواقع تحت العنوان الخالص بلون أخضر تمييزاً بين ما يدل عليه العنوان الرئيسي والفرعي الذي هو أقلّ من الأول حجماً تنوياً لشأن العنوان الخالص للرواية.

أما كاتب الرحلة فقد وظّف علامات غلافه بلونها طبيعياً؛ ليجد المتلقي بمجرد القراءة البصرية وقفاً في نفسه فيشارك الكاتب فيما يصارعه من تعب، ولون السماء الصافية بلون أزرق، لا سحاب فيها ولا نجوم. ولون الأرض الصحراوية صعيدها أسمر؛ دلالة على أحوال السفر في الزمن القديم ومعاناة المسافرين التي من أجلها قُصرت الصلاة، وأعطته الشريعة فرصة الأكل والشرب في رمضان؛ ليشعر المتلقي بما شعر به يحيى (البطل). وكتب عنوان الرحلة بلون أسود في وسط الغلاف وبخط أكبر حجماً إغراء للقارئ إلى العنوان.

يمكن تأويل ما تعكسه صورة غلاف السنة والرحلة على النمط التالي:

- **العلامة الإرادية والخرق الدلالي:** يدرك الناظر بمجرد القراءة البصرية لصورة غلاف السنة إرادة الكاتب لتصوير المكان الذي دارت فيه أحداث القصة، كما بيّن العنوان الزمن المحدد لحدثها سنة واحدة، فكأن شخصياتها عاشوا بين الهضبات الجافة المركبة ارتفاعاً وانخفاضاً بصحراء لا نبات في المكان، وتحنّك الشخصيات -لاسيما البطل- بالمشقة فيتحمل إلى أن يحقق مراده أخيراً. فهذه الدلالات غير مباشرة.

- العلامة الإرادية والدلالة الحرفية: تشير صورة غلاف الرحلة وعنوانها إلى دلالة مباشرة لمضمون الرواية؛ ذلك للدلالة الحرفية بين صورة الغلاف وما فيها من العنوان ومضمون الرواية، كما تعكس الصورة بيان السفر وما له من التعب لاسيما بمكان صحراوي.

المبحث الثالث: ترجمة كاتب السّنة والرحلة

أ- ترجمة كاتب السّنة:

هو مرتضى بن عبد السلام الحقيقي، ويكنى بأبي البياني، ويلقب بالحقيقي، وقد يغلب على اسمه في بعض الأحيان.^{xliv} ولد مرتضى بن عبد السلام بن محمد البخاري بن محمد الطاهر في حي "سكّم" بمدينة إلوري ولاية كوارا، نيجيريا، عام ألف وتسعة مئة وثمانية وسبعين الميلادي (1978/08/03م). كان جده محمد البخاري برنوي الأصل، فانتقل هو وأهله من ولاية برنو ونزلوا في مدينة إلورن بحي "غَمْبَرِي" أولاً، قبل انتقالهم إلى حي "سكّم"، وتزوج بامرأة يورباوية، من هبة الله في هذا الزواج وجد عبد السلام والد المترجم له. أما أم السيد مرتضى فإنها كانت من أرومة يوربا من أبيها إسحاق، ومن أصالة فلانية من أمها الحاجّة أسماء غُوغو التي تربي عليها مرتضى. لعلّ الله أودع سر النبوغ في تكوين مرتضى الثقافي، لانتمائه إلى أصول وأعراق مختلفة.^{xlvi}

نشأ السيد مرتضى بن عبد السلام وترعرع في مدينة إلورن ببيت والديه أولاً، ثم بيت جدته المرحومة أسماء غُوغو، وخاله الكريم الإمام سليمان اللذين حفلاه حباً وتحناً، منذ طفولته حتى التحق بالمدرسة الابتدائية ثم الإعدادية فالثانوية، حتى قدر الله له القبول في الجامعة الإسلامية بالنيجر.^{xlvi}

من المدارس التي مرّ بها السيد مرتضى في تكوين شخصيته، مدرسة "أنصار الإسلام" الابتدائية الحكومية بربوة ألكو، إلورن، فهي أول محطة علمية إنكليزية، وقف عندها ما بين 1985-1990م. ثم تلقى تعلمه العربي على المستوى الإعدادي المتوسط بمدرسة "بحر العلوم"، سكّم، إلورن، ما بين 1990-1993م. ولم يلبث حتى التحق بكلية اللغة العربية الحكومية جيبا، ولاية كوارا، حيث نال الشهادة الثانوية عام 1999م.

وفي هذا العام (1999م) نفسه، ساقه الحظ إلى الجامعة الإسلامية بجمهورية النيجر دارسا بكلية اللغة العربية والدراسات الأدبية (قسم الأدب)، حيث تخرج فيها متخصصاً في الأدب العربي عام 2003م.^{xlvi} وشارك في خدمة الوطن ما بين سبتمبر 2003م إلى أغسطس 2004م بمدينة أنكبا، ولاية "كُوغي"، لمدة سنة كاملة.^{xlvi}

في هذه الجامعة حدث ما قص علينا الكاتب، من معاناة حياته الجامعية، حيث تم قبوله ضمن الطلبة المنتسبين، وصارت حياته فيها طيلة السّنة صعبة، وقصته "السّنة" تكفي القارئ عن ذكر هذه الحياة المريرة.^{li}

لم ينقطع السيد مرتضى عن خيوطه في تحصيل العلم والمعرفة، حتى قدر الله له حظه عام 2008م، فحصل على درجة الماجستير في جامعة جوس، ولاية بلاتو، متخصصاً في الأدب العربي أيضاً. ومن ثم سجل للدكتوراه في جامعة عثمان بن فودي، صكتو- نيجيريا. وحصل على شهادة الدكتوراه عام 2014م، متخصصاً في البلاغة العربية.^{li}

أضحى الدكتور الحقيقي محاضراً بجامعة ولاية بوتشي، غطو، منذ 2015م، وهو رئيس قسم اللغة العربية سابقاً. وشارك أيضاً في المؤتمرات والندوات على الأصعدة الوطنية والعالمية. وله مقالات علمية وأدبية منشورة في الصحف والمجلات الأكاديمية في الجامعات النيجيرية وغيرها.^{lii} ومن إنتاجاته ما يلي:

-السنة، قصة عربية فنية (2006م). و"رحلة الزهراء"، قصة عربية فنية (2012م). وكتاب: "طرق البحث العلمي في الدراسات العربية والإسلامية" (2013م). ومسرحية: "السيد المحاضر"، مسرحية عربية (2015م). وكتاب: "الشعر السياسي في نيجيريا لمحات ونماذج" (2016م).

ب- ترجمة كاتب "الرحلة":

هو علي بن عبد القادر، ويكنى بأبي مصطفى، ويلقب بـ العسلي نسبة إلى العسل، وهو معرّب من "Oloyin" في لغة "يُوربا"، ويستعمل هذا التعريب كثيراً من الإلوريين، ويلقب أيضاً بـ "إشولا" وهو لقب يرباوي متوارث عن الأجداد، ويؤوّل بعض الباحثين "إشولا" بعزّ الله. ومن ألقابه أيضاً "الإمام" نسبة إلى عمه الإمام الذي سمي باسمه. كان برنوي الأصل، حيث نزح أجداده من مدينة برنو إلى مدينة إلورن شيوخاً مهرة

في القرآن الكريم والعلوم العربية، وفيها ولد علي بن عبد القادر بن عبد الحي بن بوصيري "صاحب العسل" بن بدر الدين بن صالح، العسلي، عام 1980م، بأسرة عسلية عريقة في العلم والمعرفة، أصيلة في المجد والسؤدد. وترعرع فيها متقلبا على تلك العادات الإلورية التي تعودتها الأسرة، من حيث الاهتمام بالعلم والحفاظ على التراث العربي الإسلامي^{liii}.

بدأ الكاتب تعلمه، بتلقي القرآن الكريم، ومبادئ العلوم الإسلامية في "معهد المرحوم الشيخ عبد الرحيم بن عبد الملك أوندي" أولا. ثم التحق بـ"دار العلوم لجهة العلماء والأئمة، "إسليكو"و"، "إلورن"، متحصلاً على شهادتها الإعدادية عام 1997م، واستمر تعليمه في هذه المدرسة فواصل إلى المرحلة الثانوية، حيث تخرج فيها عام 1999م.

وفق في العام نفسه على الالتحاق بالجامعة الإسلامية – ساي – في جمهورية النيجر، قسم اللغة العربية والدراسات الأدبية، ثم تخرج فيها عام 2003م متخصصاً في الأدب العربي ونقده، فانخرط في الخدمة الوطنية مباشرة بعد عودته إلى نيجيريا بالمدرسة الثانوية العربية بأوغولور، في حاضرة حكومة أوفو المحلية بولاية كوفي، من عام 2003م – 2004م. كان محاضراً في قسم اللغة العربية بجامعة ولاية "يوي" - "دمأثرو" - نيجيريا، منذ عام: 2013م وحتى الآن^{liv}. لقد أنتج العسلي قصصاً عربية فنية، منها: "الرحلة" قصة عربية فنية طبعت عام: 2009م، و"عبث الطفولة": قصة عربية فنية طبعت عام: 2010م.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة عناصر ما قبل النص في قصتي "السنة" و"الرحلة" وتشكل نظاماً دلاليّاً متكاملًا يعكس رؤية كل من الكاتبين لعالمه القصصي. فقد أظهرت الموازنة بين العنوانين أن كلا منهما أدى وظائفه التعيينية والتضمينية والإغرائية. أما تحليل صورة الغلاف فأبان عن نجاح غلاف "الرحلة" في التلخيص البصري لمضمون القصة بعلاماته الإرادية المباشرة، بينما اعتمد غلاف "السنة" على الترميز واللون لإيصال دلالات الجذب والألم ثم الفرج. وتكاملت هذه العتبات مع السيرة الذاتية للكاتبين لتقدم نموذجاً نقدياً يُعنى بدراسة النص من محيطه القريب. ومن أهم النتائج ما يلي:

-أدى عنوانا "السنة" و"الرحلة" وظيفتيهما التعيينية والإغرائية بنجاح، مع تفوق "الرحلة" في الدلالة الحرفية المباشرة.

-كشفت الدراسة الصوتية أن كلمة "السنة" تجمع بين الهمس والمجهور المحذوف اللام، مما يعكس شدة العنت والمعاناة.

-صورة غلاف "الرحلة" ذات دلالة حرفية مباشرة تلخص مضمون القصة بأباعر وركاب في مكان صحراوي، بخلاف غلاف "السنة".

-الألوان في الغلافين تحمل دلالات متقابلة: الأزرق والأسود في "السنة" يرمزان للأمل والحزن، بينما الأزرق والأسمر في "الرحلة" يعكسان طبيعة السفر القاسية.

-كلا الكاتبين من أصول متعددة (برنو، يوربا، فلاتة) أثرت فيها الثقافي والإبداعي.

-تفوقت "الرحلة" على "السنة" في تحقيق الوظيفة الإغرائية للغلاف، بينما فاقتها "السنة" في توظيف اللون والدقة الصوتية للعنوان.

الهوامش:

١ - اختلف النقاد في تسمية هذه العناصر، وسماها محمد أنيس بـ"النص الموازي، وعند مختار حسني "التوازي النصي"، ومحمد هادي المطوي "موازي النص" وغيرهم، لأنه مترجم من كلمة إنجليزية. أنظر: طاهر، الطاهر، سمياء الخطاب الروائي قراءة في "الولي طاهر يعود إلى مقامه الزكي"، دار النهار، ط. 1، 2002م ص: 141.

- ii - حسين، لون بللو، السوسيونصية للرواية العربية النيجيرية خادم الوطن نموذجاً، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، قسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو، عام: 2018م. ص49.
- iii - إبراهيم، أنيس(الدكتور) وشركاؤه، المعجم الوسيط، الجزء الأول والثاني (د مط)، الطبعة الثانية 1972م، ص664.
- iv - الرازي، محمد أبوبكر، (الشيخ الإمام)، مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر، دار الفكر، ط.1، 2011م. ص384.
- v - زيتوني، لطيف (الدكتور)، معجم مصطلحات نقد الرواية، ط1، 2021م، دار النهار. ص125.
- vi - حمداوي، جميل المغرب (الدكتور)، صورة العنوان في الرواية العربية، تم بواسطة الشبكة العنكبوتية، وذلك يوم السبت 27-06-2020م مساء.
- vii - زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، المرجع السابق. ص125.
- viii - زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، المرجع نفسه. ص126.
- ix - زيتوني، المرجع نفسه والصفحة.
- x - فطمية الزهرة بايزيد (الدكتور)، التشكيل الجمالي لصورة الغلاف والعنوان (دراسة سيميائية) ، تم البحث بواسطة الشبكة العنكبوتية يوم الإثنين 19-5-2021م. مساء .
- xi - الحقيقي، مرتضى بن عبد السلام، السنة، ط.1. 2006م مطبعة كيؤد ميلولا، للطباعة والنشر، إلورن ولاية كورا. ص:ي.
- xii - سورة العنكبوت 14.
- xiii - إبراهيم، أنيس، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص358-359.
- xiv - إبراهيم، أنيس، المعجم الوسيط، المرجع نفسه، ص358-359.
- xv - سورة قريش 2.
- xvi - يأتي الكلام عن الفرق المحدد بين السفر والرحلة آنفاً.
- xvii - سورة الكهف 62.
- xviii - إبراهيم، أنيس، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص358-359.
- xix - زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، المرجع السابق. ص126.
- xx - يأتي البيان عن التجنيس بعد قليل.
- xxi - زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، المرجع السابق. ص125.
- xxii - لم يكتب كاتب القصة عنواناً فرعياً غالباً، بل يقتصر بعنوان رئيسي؛ لذا لم يعرف القارئ نوع القصة، أهي رواية أم القصة الذاتية.
- xxiii - محمد، عبد الله القواسمة (الدكتور) عن التجنيس وخصوصية النوع الأدبي، تم البحث بواسطة الشبكة العنكبوتية، وذلك يوم السبت 11-04-2021م الساعة العاشرة صباحاً.
- xxiv - محمد، عبد الله عن التجنيس وخصوصية النوع الأدبي، المرجع السابق والتاريخ.
- xxv - محمد، عن التجنيس وخصوصية النوع الأدبي، المرجع نفسه والتاريخ.
- xxvi - محمد، عبد الله المرجع نفسه والتاريخ.
- xxvii - زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، المرجع السابق. ص126.
- xxviii - زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، المرجع نفسه والصفحة.
- xxix - الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، مراجعة واعتناء الدكتور درويش الجويدي، الجزء الأول، (د.ط، 2009م) المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان، ص157-160.
- xxx - إبراهيم، أنيس، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص486.
- xxxi - الرافعي، تاريخ آداب العرب، المرجع السابق، ص104.
- xxxii - الرافعي، تاريخ آداب العرب، المرجع السابق والصفحة.
- xxxiii - سورة العنكبوت 14.
- xxxiv - زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، المرجع السابق ص111.
- xxxv - زيتوني، المرجع نفسه والصفحة.
- xxxvi - ناصر الدين، إبراهيم أحمد (الدكتور)، مدخل إلى علم اللغة، ط 1، 2019م، الجامعة الفيدرالية دوطي، ص175.
- xxxvii - ناصر الدين، مدخل إلى علم اللغة، المرجع نفسه والصفحة.
- xxxviii - زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، المرجع السابق. ص111.
- xxxix - ناصر الدين، مدخل إلى علم اللغة، المرجع السابق والصفحة.

- xl - يقصد بالدلالة الحرفية أي: الدلالة المباشرة التي تفهم من ظاهر الألفاظ، أنظر: الشويرب ، أمال محمد علي، سيميائية العنوان والغلاف في رواية إبراهيم الكوني، مقالة منشورة بالمجلة الجامعة العدد الواحد والعشرون، المجلد الخامس أغسطس 2009م. ص181.
- xli - فطمية الزهرة، بايزيد (الدكتورة)، التشكيل الجمالي لصورة الغلاف والعنوان دراسة سيميائية، تم البحث بواسطة الشبكة العنكبوتية يوم الإثنين 19-5-2021م.
- xlii - أحمد، مختار عمر (الأستاذ الدكتور)، اللغة واللون، عالم الكتب، ط 3، 2009م، القاهرة، ص183.
- xliii - أحمد، مختار عمر، اللغة واللون، المرجع السابق، ص185.
- xliv - أحمد، مختار عمر، اللغة واللون، المرجع نفسه، ص184.
- xlvi - آدم إبراهيم، الخصائص الفنية في قصة "السنة" لمرتضى بن عبد السلام الحقيقي، دراسة أدبية تحليلية، بحث مقدم لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، جامعة ولاية بوتشي، غطو. 2017م. ص: 12
- xlvi - آدم إبراهيم، الخصائص الفنية، المرجع نفسه والصفحة.
- xlvi - آدم إبراهيم، الخصائص الفنية، المرجع نفسه، ص 13.
- xlvi - الحقيقي، مرتضى بن عبد السلام، السيد المحاضر، الطبعة الأولى، 2015م، شركة المضيف للطباعة والنشر، إلورن. ص: 38.
- xlix - آدم إبراهيم، الخصائص الفنية، المرجع السابق، ص: 15.
- i - آدم إبراهيم، المرجع نفسه والصفحة.
- li - الحقيقي، السيد المحاضر، المرجع السابق والصفحة ذاتها.
- lii - الحقيقي، السيد المحاضر، المرجع السابق، ص: 39.
- liii - عالية "م" يوسف، الخصائص الفنية في قصة " عبث الطفولة" لعلي بن عبد القادر العسلي " دراسة أدبية تحليلية" بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية بجامعة ولاية بوتشي، غطو، للحصول على درجة الليسانس في اللغة العربية. 2018م.
- liv - العسلي، الرحلة، المرجع السابق، ص 59